

أضواء البيان

@ 105 @ مَسْئُولًا { . .

ففي الآية الأولى تمنوا نزول سورة يؤذن فيها بالقتال ، فلما نزلت صار مرضى القلوب كالمغشي عليه من الموت . .

وفي الثانية : قيل لهم كفوا أيديكم عن القتال ، فتمنوا الإذن لهم فيه ، فلما كتب عليهم رجعوا وتمنوا لو أخرجوا إلى أجل قريب . .

وفي الثالثة : أعطوا العهود على الثبات وعدم التولي ، وكان عهد [مسؤولًا] ، فلما كان في أحد وقع ما وقع وكذلك في حنين ، ويشهد لهذا أيضاً قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَتِ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ لَاحِثٍ لَّيْسَ بِكُمْ مَّقَامُ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّاسِ يَقُولُونَ إِنْ بُعِثْنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ مَّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَابَّتْ عَلَيْهِمْ إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوقِلُونَ إِلَّا دُبَارَ { . .

ففي هذا السياق بيان لعتابهم على نقض العهد ، وهو معنى : لم تقولون ما لا تفعلون سواء بسواء ، ويقابل هذا أن [تعالى] امتدح طائفة أخرى منهم حين أوفوا بالعهد وصدقوا ما عاهدوا [عليه] في قوله تعالى : { مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا { . .

ثم بين الفرق بين الفريقين بقوله بعدها { لَّيْسَ بِكُمْ مَّقَامُ لَكُمْ فَارْجِعُوا } المصادقين برصد قهرهم وَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَدْعُوا خَيْرًا { ، وذلك في غزوة الأحزاب . .

فتبين بهذا أن الفعل المغاير للقول هنا هو عدم الوفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم من قبل فاستوجبوا العتاب عليه ، كما تبين أن الذين وفوا بالعهد استوجبوا الثناء على الوفاء ، وقد استدل بالآية من عموم لفظها على الإنكار على كل من خالف قوله فعله ، سواء في عهد أو وعد أو أمر أو نهي . .

ففي الأمر والنهي كقوله تعالى : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ

أَنفُسَكُمْ ° { . .

وكقوله عن نبي ا [شعيب لقومه : { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ خَالِصَتَكُمْ ° إِلَيَّ مَا
أَرْزَقُكُمْ ° عِنْدَهُ ° { .